2

جزء صغير
من مشروع عظيم

هناك مسحة من المثالية عند العديد منا ممن يعملون في سلك السياسة. فنحن نتوق إلى وجود قائد عظيم –القائد الذي نتصوره رئيساً أسطورياً ذا شخصية قوية، متحرراً من الهفوات ونقاط الضعف الشخصية، وملتزماً بالنضال من أجل المثل العليا وتجسيد أكثر ما يمكن تجسيده من شخصية كاميلوت التي تمثل الحقيقة والجمال والصلاح في أبهى صورها.

لكن أغلبنا مشدودون بما يكفي إلى الواقع الذي يبين لنا أن قائداً استثنائياً كهذا موجود فقط في مخيلاتنا. ومع ذلك، فإننا نعلل أنفسنا بالآمال بقدوم ذلك القائد النادر المتمتع بمواهب استثنائية، وبجاذبية فريدة، وبالتزام مطلق بالنضال في سبيل المجد والحصول عليه بالطريق الصحيحة، وبشرف ونبل.

يخلد تاريخنا مثل تلك القيادات النادرة. يطل علينا من نُصُبِهم الحجرية الهائلة الحجم في عاصمة الوطن كل من جورج واشنطن، وجيفرسون، ولينكولن. يحدقون في الفضاء عبر رؤوسهم المصنوعة من الغرانيت (مع تيدي روزفلت) في جبل روشمور رامزين إلى المُثُل الأمريكية: الحرية، والديمقراطية، والأمل، وتكافؤ الفُرَص لكل الناس من مختلف مناحي الحياة. تُبَجّلُ ذكرى مارتن لوثر كينغ جونيور وذلك بسبب تحديه لأمريكة أن ترقى إلى مستوى مُثُلها في المساواة والعدل للجميع.

وبينما كنت أرى جورج بوش القائد الأكثر جاذبية وإلهاماً في العالم عندما بدأت العمل لديه، كنت أعتقد أن لديه ما يكفي من هذه الميزات التي تؤهله كي يكون رئيساً جيداً، إن لم أقل رئيساً عظيماً. اعتقدت أيضاً أنه يمتلك تفهماً نادراً لما ينشده المواطن

العـادي على امتداد أمريكـة في شخصية القائد، وأنه ملتزم بمنحـه إياه. وهكذا، فقد غمـرني الإحساس بالحماسة عندمـا دعاني الحاكم آنـذاك، بوش في كانـون الثاني، يناير، إلى الانضمام إلى فريقه.

كنـت جالسـاً أنتظر بشيء مـن التوتر في مكتـب الاتصالات ذي الإطـارات الخشبية بسقفـه العالي داخل مبنـى عاصمة الولاية ذي القبة الوردية اللون. عادت كارن هيوز من جديـد وقالت: «الحاكم جاهز لاستقبالك» وبينما كنت ألج إلى ردهة الاستقبال الفسيحة المزخرفة خارج مكتب الحاكم، قمت بارتداء قناع اللعبة.

كان عقلـي في تلـك اللحظة في حال تركيـز شديد، كما اعتاد أن يكـون أثناء مباريات التنـس التـي كنت أخوضها عندمـا كان بمقدوري حينها أن أدفع بكل مـا يمكن أن يشتت ذهنـي من حولي بعيداً عني –النـاس وحركة الهواء والضجيج– وأركـز بشكل كامل على الكرة وأرض الملعب. كنت أشعر بتدفق الأدرينالين مني. كان ينتابني مزيج من الإحساس بالثقة والقلق في الوقت نفسه. كانت لحظة من نوع خاص.

استمتعـت بموقعـي في السياسـة التكساسية، ولم أشعـر أبداً بالتوتر الـذي يعد سمة السياسـة في واشنطن. فلقد تبـين لي أن الحرب الحزبية التي طغت على مشهد السياسة الوطنية في الجزء الأكبر من عقد التسعينيات كانت متعبة ومنفرة. لكنني عرفت أن هذا العرض المقـدم لي من جورج دبليو بوش هو فرصة لا تحدث إلا مـرة واحدة في الحياة، وتتمثـل في أن أكـون جـزءاً صغـيراً من شيء عظيـم. كان هذا العرض يسـاوي في عرف الرياضة الانضمام إلى فريق لكرة القدم لديه فرصة كبيرة للفوز بالكأس العظيمة، وربما لدخول التاريخ كواحد من أعظم الفرق.

ظننـت أن أداء بوش كحاكـم لولايـة تكساس يؤكـد أن لديه القدرة علـى تغيير الجو السياسـي في واشنطن والقيام ببعض الإنجازات الكبيرة. وبالرغم من أنني كنت ملتزماً بالعمـل في مكتـب الحاكـم، إلا أنني كنت في أعماقـي أشعر بأن احتمـال أن ألحق به إلى واشنطـن يمكن أن يكون خياراً بالنسبة لي لو قرر خوض معركة الرئاسة والفوز بها كما توقع له الجميع.

كانـت كارن هيـوز مديرة مكتب بوش للاتصالات منذ أمد بعيد، ولقـد تحدثنا سويّاً عـن إمكان انضمامـي إلى فريق بوش بصفتـي كبير الناطقين باسـم مكتبه حين يصبح حاكمـاً. حـان الوقت الآن كـي يصادق على التوصيـة التي رفعتها إليه بهـذا الشأن. كنا، أنـا وبوش، نعـرف بعضنا بعضاً منذ أن ترشح لمنصب الحاكـم لأول مرة، ومنذ أن بدأت عملي كاستراتيجي سياسي شاب من تكساس، ولكن هذه المعرفة لم تكن بهذا العمق على المستوى الشخصي.

لم يكن قد قرر بعدُ رسمياً الدخول في السباق الرئاسي. لكن الجميع كانوا يعرفون أنه سـوف يشـرع في تطبيق خطة محكمة بهذا الشأن، حتى لـو تحدث علناً عن ذلك أعضاء مـن داخـل فريق بوش. كان كبـير مستشاريـه السياسيين كارل روف غارقـاً حتى أذنيه في عمليـة التخطيط الإستراتيجـي للقيام بحملة على الصعيـد الوطني. بعد ذلك بمدة وجيزة، كانت كارن هيوز، مستشارته الإعلامية الأكثر وثوقاً، ستنضم إلى لجنة الرئاسة التجريبية تاركـة وراءها مساعدة خبيرة وناطقة رفيعة المستوى وهي ليندا إدواردز التي كانـت تمتلك إمكانيات صحفية قوية لكـن كانت تنقصها الخلفية السياسية. تمت ترقية ليندا إلى مرتبة مديرة الاتصالات في مكتب الحاكم، بينما كان الموقع الذي طلب إليّ أن أشغله هو نائب مديرة الاتصالات.

طلبـت إلى كارن ملء الفراغ الذي سوف يحدثه غيابهـا الوشيك. وطالما أن بوش كان من المتوقـع أن يدخل مضمار السباق الرئاسي إلى البيت الأبيض ويكون في المرتبة الأولى بـين المتسابقين معتمداً في ذلـك على اسم عائلته، وعلى نجاحه كحاكـم لولاية تكساس، فإنـه بالإضافة إلى سجله كحاكم، وسياساته سوف يكون موضع تمحيص مكثف من قبل وسائـل الإعلام الوطنيـة. أرادت كارن أن تتأكد من أن مكتب الاتصالات الحكومي التابع له، والذي سيكون في الطرف الآخر المتلقي، يحتوي على الخبرة السياسية والحس المرهف المطلوبـين مـن أجل معالجـة الهجوم المتوقع من قبـل وسائل الإعـلام الوطنية التي تمثل مراكز القوى.

قبل أسابيع قليلة على ذلك، قال ريغي بشور، وهو باحث ذكي في الشؤون الإستراتيجية سبق له أن أشرف عليّ في الفوز بثلاث حملات انتخابية قمت بإدارتها على مستوى الولاية: «لقد كان رجال الحاكم يقومون بمراقبتك. إنهم يبحثون عن ناطق رئيس ذي خلفية سياسية. إنهم يرغبون بالتحدث إليك، إذا كانت لديك رغبة في ذلك».

لم يكن قد مضى سوى عدة أيام على انتهائي من الإشراف على حملة لصالح والدتي للفوز بمنصب مهم، وهو منصب مراقب الحسابات في ولاية تكساس سنة 1998 كان التنافس فيها محموماً، وكانت والدتي في المراتب الأخيرة في هذه الحملة، وكان مفاجئاً أن تفوز هي بهذا المنصب؛ حينها لم أفكر في واقع الأمر في ما سيكون آتياً بانتظاري. كانت قوانين محاباة الأقارب تمنعني من الالتحاق بوالدتي في وظيفتها الجديدة. وكان تركيزي المباشر يتمثل في مساعدتها أثناء الفترة الانتقالية للقيام بواجباتها الجديدة: مثل إدارة طاقم واحد من المكاتب الكبيرة في الولاية؛ والإمساك بزمام خزينة الولاية بما في ذلك ميزانيتها خلال سنتين والتي تفوق 80 بليون دولاراً؛ والقيام بتقديرات مالية حول تكلفة التشريعات؛ والتصديق على كمية الأموال التي يمكن للمشرعين في الولاية إنفاقها، من ضمن أشياء أخرى. كان الهدف من كل ذلك مساعدتها في اختيار مستشارين رئيسين يمكن الوثوق بهم.

كان (ريغي بشور) يلوح باقتراح ليس من السهل مقاومته. أخجلت كلماته تواضعي. فلقد كنت أحب الحاكم. كان من السهل دائماً أن تتحدث إليه، وكان واقعياً جداً، وبدا لنا أنه شخص صادق عندما كنا نقوم بزيارته. قدرت كثيراً أسلوب قيادته التي تجاوزت حدود القضايا الحزبية، والفريق الرائع الذي جمعه حوله كي يضع خططه موضع التطبيق، لكنني لم أكن أتصور يوماً أنني سأصبح جزءاً من هذا الفريق. فقد كان أعضاء فريق بوش على درجة عالية من الذكاء الضمني، وكان يبدو عليهم التواضع، كما كانوا يظهرون التزاماً بخدمة قضية أكبر من مصالحهم الشخصية – وهذا ما يفسر حسن علاقاتهم مع بعضهم بعضاً. أن يكون المرء ضمن هذا الفريق كان يعني الانتماء إلى أفضل مجموعة مواهب في الولاية. وكان العمل لدى بوش أقصى ما يحلم به المرء في مجال السياسة بولاية تكساس.

الآن، عندما دخلت إلى مكتب بوش في مستهل الجلسة التشريعية التي تلت إعادة انتخابه حاكماً للولاية بنسبة ساحقة، انتابني إحساس عارم بالتواضع والامتنان؛ وتساءلت: لماذا وقع اختيار حاكم تكساس المتمتع بالتأييد الشعبي، والذي من الممكن جداً أن يصبح الرئيس القادم للولايات المتحدة، عليّ أنا من بين كل الناس؟

كانت أضواء المكتب الكبير المستطيل الشكل خافتة، وكان مكتب الحاكم في أحد أطراف المكتب، وكانت مقابله في الطرف الآخر مجموعته من كرات البيسبول الموقّعُ عليها. وإلى جانب كرات البيسبول، كانت هناك أريكة، وزوج من الكراسي، وطاولة صغيرة. كان هناك أيضاً رسم لسام هوستون الشهير، الذي كان رئيساً لجمهورية تكساس وحاكماً لتكساس كولاية، بعد انضمامها إلى الاتحاد؛ وهو يرتدي ثوباً فضفاضاً على الطراز الروماني وإكليلاً من الغار شبيه بذلك الذي كان يضعه قيصر روما القديمة -ولم تكن أبداً تلك هي الطريقة التي يتخيل معظم أهالي تكساس أن تكون عليه صورة حاكمهم، خصوصاً في السنوات الأولى على تحول تكساس إلى ولاية. اعتاد بوش أن يمازح سلفه بالإشارة إلى الرسم كدرس للقادة السياسيين بأن يكونوا يقظين حول ما يوافقون على القيام به.

كان الحاكم مسترخياً في كرسيه وظهره إلى الوراء، وكان يضع رجلاً فوق أخرى. كان هذا هو الوضع التقليدي في الاسترخاء الذي كنت سأشاهده عليه مرات كثيرة في السنين القادمة.

رحب بي بوش بطريقة تنم عن روح طيبة: «كيف حالك يا سكوت؟ تفضل بالجلوس».

أجبت: «يشرفني أن أكون هنا يا سعادة الحاكم».

قال إنني موجود هناك لأن مواهبي لفتت الأنظار.

تحدثنا قليلاً عن والدتي، وعن حملتها الانتخابية، وكال لي المديح بسبب الطريقة الممتازة التي أدرت فيها حملتها.

قلت: «كل ما فعلته أنني ابتعدت عن طريقها».

ضحك ضحكة خفيفة لأنه فهم ما كنت أرمي إليه، ثم عقب قائلاً: «كان هذا ذكاء منك».

والدتي هي شخص في منتهى الحيوية، وذات شخصية قوية من الطراز الأول وتمتلك طاقات غير محدودة، تماماً كالمرأة التي كانت تحاول أن تضمني إلى فريق بوش. الفرق الأكبر بين المرأتين هو أن كارن كانت أطول بمقدار قدم تقريباً من والدتي التي لا يتجاوز طولها إلا بالكاد، الأقدام الخمسة. كنت قد داعبت كارن بالقول إن العمل معها لن يشكل أي مشكلة نظراً لأن شخصيتها تشبه إلى حد بعيد شخصية والدتي. فكلتاهما قويتان وممتلئتان حيوية، وتناضلان من أجل الحصول على ما تريدانه، كما أن كلتيهما تتحدثان بسرعة.

كان بوش يعبر دائماً عن إعجابه بالنساء اللواتي يتمتعن بشخصية قوية بمن فيهن والدتي. كان يحب فيها حماستها وطاقتها وكلامها الصريح. كما أحب ضآلة حجمها وصرامتها. فقد تم انتخابها لتبوء منصب على مستوى الولاية في الوقت الذي انتخب بوش للمرة الأولى حاكماً للولاية، ونشأت بينهما صداقة منذ ذلك الحين.

أما أنا، فلم أكن أبدو أقلّ تحفظاً عن الصورة التي رسمت لوالدتي، ولكن ما كنت لأجلس حيث كنت في ذلك اليوم لولا أن والدتي طلبت إلي القيام بمساعدتها في الفوز في وظيفتها في سياسة الولاية.

سألني الحاكم بطريقة مباشرة: «لماذا تريد أن تعمل لديّ؟»

قلت: «لأنني مؤمن بك».

أسرع بوش إلى القول: «المسألة لا تتعلق بشخصي، بل بالأجندة».

قلت: «نعم يا سيدي، أنت محق، هذا ما أعنيه. أنا أؤمن بأهدافك، كما أؤمن بقيادتك. أنا معجب بالطريقة التي استطعت فيها إقناع الجميع من أجل إنجاز ما هو مطلوب».

تابعت شرح كيف أن أفراد جيلي انتابهم الملل من المشاحنات السياسية على المستوى الوطني، وكيف أنهم تواقون إلى وجود قادة يمكن أن يترفعوا عن الانتماءات الحزبية، تماماً كما كان بوش يفعل في تكساس في الوقت الذي كانت واشنطن تسير في الاتجاه

المعاكس. تحدثنا عن أسلوبه في الحكم والنَّفَس الإيجابي الذي عمل على إطلاقه، وأجندته الأكثر شمولية، وكيف أنه أحاط نفسه ببعضٍ من أفضل وأذكى الأشخاص في تكساس للعمل في فريقه.

تحدث بوش بحماس عن أجندته، وعن تركيزه على ضرورة الوصول إلى نتائج. قال إنه يؤمن بقوة أن برامج الحكومة التي تخدم هدفاً شرعياً يجب أن تمهّدَ لها السبل كي تحقق النتائج المتوخاة منها.

من زاوية أشمل، كان السبب في قناعته أن «المسألة تتعلق بالأجندة» يكمن في الدرس الذي تلقاه في مجال السياسة (والذي تعلمه من الفترة التي تلت رئاسة والده) والمتمثل في أن ما يهم هو النتائج. فالناس يحكمون على القادة، والتاريخ يذكرهم استناداً إلى النجاحات التي يحققونها، أكثر من أي شيء آخر. ومع مرور الوقت، وصلت إلى الاستنتاج بأن رؤية بوش للسياسة الوطنية تقضي بأن عامة الناس لا يكترثون بالوسيلة التي ينتهجها القائد للوصول إلى هذه النتائج، سواء كانت تستند إلى قاعدة عريضة من الدعم من قبل الحزبين أم لا، وسواء كان المرء صريحاً ومباشراً في الأسلوب الذي اتبعه لتحقيقها أم لا. طالما تبيّنَ أن البرامج أثبتت نجاحها، فإن عامة الناس تميل إلى تَذَكّر النتائج النهائية فقط، وليس الوسيلة التي اتبعها القادة في الوصول إليها. وفي الوقت الذي بدأنا العمل على اتفاق طويل الأمد، مبني على علاقتنا المهنية وعلى محبتنا لتكساس، لم يكن بمقدوري بعد، تقدير إلى أي مدى يمكن لهذا الرأي أن يطغى، إيجاباً أو سلباً، على مقاربة بوش للحكم عندما يصل إلى واشنطن.

فيما بعد، تحدث عن بعض توقعاته بشأن الناطقين باسمه -أهمية أن يبقى واحدهم ملتزماً بالرسالة الموكلة إليه، والحاجة إلى الحديث عما توافق عليه، وليس عما ترفضه، وكيف كان يحب أن يكون هو صانع الأحداث الكبيرة في الوقت الذي يحدده بنفسه من دون أن تكون هناك حاجة إلى أن يظهر الناطقون باسمه أمامه؛ وأخيراً، التأكد من أن البيانات العلنية يتم تنسيقها داخلياً بحيث يكون الجميع دائماً يتحدثون بصوت واحد، وأن لا يكون هناك سوى الحد الأدنى من المفاجآت.

أضـاف بوش: «لم أتخذ بعد قراراً حول إمكان ترشحي لمنصب الرئيس. ما زلت أفكر في هذا الموضوع. لكنك تملك حدساً سياسياً جيداً، وسوف أكون بحاجة إلى مساعدتك في مراقبة ما يدور حولي في هذا المكتب إذا قررت تلمس إمكان البدء في عملية الترشح».

أخبرته بأنني فهمت ما يعنيه، وعند هذه النقطة، أنهى هذا الحديث.

لقد اتفقنا. لم ارتكب أي خطأ جسيم. وهكذا فقد تم التعاقد معي.

بـدا كل شيء في تلـك اللحظة يميل إلى صالحي. فقد انضممـت هنا، وفي هذا المكان إلى فريـق يتبع قائداً ذا إنجـازات كبيرة، وذا قدرة مجربة في تهدئة المياه الحزبية، لديه المقدرة على لم شمل الناس وتحقيق نتائج إيجابية. لم يكن هناك في الأفق أي سبب يدعو إلى توقع أي شكل من أشكال خيبة الأمل.

كنـت حينها في الثلاثين من عمري. ونظراً لأننـي نشأت في بيئة سياسية على المستوى المحلـي، وفي عاصمة تكساس، ولكوني عملت على مستوى الولاية مـدة عقد تقريباً، فقد تبين لي أن السياسة غالباً ما تتحول إلى نوع من رياضة علاقات.

يمكن للانتخابات أن تكون لها روحية لئيمة. لكن مراقبة ما كان يجري في واشنطن في التسعينيـات كانت تشبه الأسابيع الأخيرة من الحملات الانتخابية الحامية الوطيس التي تحولت إلى حملات سلبية لا نهاية في الأفق لها، تشن على شاشات التلفاز أسبوعياً، وعلى مدار الساعة.

كانـت المداولات والحلـول الوسط المقترحة، وهي عناصـر مفصلية في عملية الحكم، خصوصـاً في ظـل ديمقراطية مؤسساتية وتمثيلية تطغى علـى المشهد السياسي. كان من لديه أفضل الأفكار أو السياسات أقل أهمية بكثير من الشخص الذي استطاع كسب الرأي العـام إلى جانبه. كانـت الصراعات واللغط والسلبية تحظى بتغطيـة متزايدة في وسائل الإعـلام، كما استقطبـت الأصوات الحزبيـة والأيديولوجية اهتماماً أكـبر من الأصوات الداعية إلى الأخذ بالإجمـاع والبراغماتية العقلانية. وكأي عضوٍ في الحزب الجمهوري،

كنـت أميل إلى اعتبار الديمقراطيين أكثر صخبـاً وأقل عدالة في تكتيكهم، ولكن كان من الواضـح أيضاً أن الحزبين يتحملان المسؤولية نفسهـا في تدهور المناخ في واشنطن حيث تبدأ منها الانتخابات، إلا أن الحملات فيها لا تتوقف أبداً.

أخـذت رئاسة كلينتون فـن الحملات الناجحـة إلى مستويات جديدة غـير مسبوقة. فقـد بدأ هذا النوع من الحملات أثناء انتخابات سنـة 1992، عندما تعهد فريق كلينتون الذي كان بقيادة الثنائي الممتلئ نشاطاً وحيوية، والمكون من جورج ستيفانوبولوس وجيمس كارفيـل بعـدم السماح لأحد بالاستهـزاء بمرشحهم أو الانتقاص من قـدره أو إذلاله كما حصل مع مايكل دوكاكيس سنة 1988. قام نفر من الديمقراطيين الذين شنوا هذا النوع من الحملات الانتخابية الهجومية الفعالة بالاستيلاء على البيت الأبيض لصالح حزبهم للمـرة الثانية فقـط خلال سبعـة انتخابات. ولسوء الحـظ، عندما استتـب الأمر لإدارة كلينتـون داخل البيـت الأبيض، واصلت هذه الإدارة إلى حد كبـير، ممارسة نفس الموقف الحزبـي وتحطيم الخصـوم، مستخدمة في ذلـك أساليب لا أخلاقية كاللـف والدوران، و«الرد السريع»، والتشويش، والمراوغة، والإخضاع بالإكراه وذلك بغية تشويه سمعة أولئك الذين يتحدونها علناً.

في الوقـت نفسه، رد الجمهوريون في الكونغرس بقيادة نيوت غينغريتش، الذين آلمتهم خسارة موقع الرئاسة بالأسلوب نفسه. فقد سعوا إلى نزع السلطات السياسية من يد الرئيس عبر الدفـع بأجندة أيديولوجية تحول كلينتون إلى أشلاء، وتهاجم أعضاء الكونغرس من الديمقراطيـين بدلاً من محاولة التوصل إلى الدفـع باتجاه طرق مشتركة بما يتماشى مع أولوياتهم السياسية. بعضُ ما قام به أتباع غينغريتش من أعضاء الكونغرس الجمهوريين كان ببساطـة ينم عن تموضـعٍ سياسي ذكي، كما فعلوا في مسألـة تطوير ما أسموه «عقد مـع أمريكة» والتهليـل له كأجندة متناسقـة، ومجموعةٍ من النقـاط المشتركة التي يمكن التباحـث بشأنها مـع مرشحين للكونغرس كي يلتفـوا حولها. ساعدتهم هـذه المناورة في انتـزاع سيطرة الديمقراطيين على مجلـس النواب سنة 1994. لكن بعضاً مما فعلوه كان يستنـد إلى اتهامات مبالغ فيها بسـوء الأمانة وانعدام الأخـلاق والفساد مستخدمين في

ذلك ثقافة الفضائح السائدة في واشنطن كسلاح لمهاجمة كلينتون وحلفائه. بدا مهرجان الفضائح وكأنه لا نهاية في الأفق له: بدءاً بترافيلغيت، ووايت وتر، مروراً بالإف بي آي غيت، وقضية فينس فوستر، وقضية سجلات فواتير شركة روز القانونية، وبالطبع، انتهاءً بقصة مونيكا لوينسكي.

ربما تبدو بعض هذه الفضائح في نظر التاريخ من دون أي قيمة تذكر، وبعضها الآخر سوف يكون مزعجاً، إلا أنها لن تقيم الدنيا ولا تقعدها. لكن تأثيرها على سياسة التسعينات كان واضحاً للعيان ولا خلاف عليه. أصبحت سياسة «الضربة القاضية» هي القاعدة. هناك فقط رابحون وهناك خاسرون. أما بالنسبة إلى وسائل الإعلام، فإن المسألة تدور حول من انتصر ومن هُزِمَ. وأما بالنسبة إلى القادة المنتخبين، فإن الحقيقة التي تقبع في كواليس القصة لم تعد لها الأولوية؛ فالأولوية هي أن يكونوا في موقع الهجوم: فأنت إما أن تحبك خيوط القصة بطريقة تخدم فيها مصلحتك السياسية مع الشعب الأمريكي، أو أن تقوم بالرد بطريقة دفاعية على تلك القصة. وكما أظن أن هذا الكتاب سوف يبين لاحقاً، فإن هناك خطأً مباشراً يربط بين الأسلوب الذي يعتبر الحقيقة أمراً ثانوياً بالمقارنة مع تحقيق نصر سياسي، وبين التشويش والمراوغة وغياب الاستقامة الفكرية ساعَدَ في جر بلادنا إلى حرب ضد العراق.

لكن شيئاً مغايراً لهذا كان يحدث في تكساس في عقد التسعينات. فقد كان هناك حاكم جمهوري ذو شعبية عريضة يعمل بتفاهم تام مع نائب الحاكم الذي كان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، ومع رئيس مجلس نواب ديمقراطي للولاية من أجل المجيء بتشريعات وسياسات تلبي حاجات معظم سكان الولاية، وترضي رغباتهم، سواء كانوا من المحافظين أو من الليبراليين.

لم تكن هناك خصومة تذكر بين قادة الفرعين التنفيذي والتشريعي الحكوميين، ويعود الفضل في ذلك بدرجة كبيرة إلى تأثير النائب الديمقراطي للحاكم، بوب بولوك، وفهم بوش العميق لطبيعة السياسة في ولاية تكساس. لم تكن القضية تتعلق في من ينال الإطراء على نتائج هذا التعاون. وكان من غير المقبول أو المسموح به ممارسة اللعبة السياسية

خـلال الدورة التشريعية. فممارسـة الحكم لم تكن مبنية على إقناع الناس أو بيع مواقف لهم بمقدار ما كانت مبنية على التشاور والاتفاق على حلول وسط بما يخدم مصالح ولاية تكساس بأفضل الطـرق الممكنة. آمن معظم قادة الولاية بأنهـم انتخبوا من قبل الشعب للقيام بذلك تحديداً، وأن عليهم العمل على الوفاء بالتزاماتهم تجاه ناخبيهم.

بعـد انتخابه لمنصب الحاكم مباشرة، شرع بوش بمد يده إلى القادة الديمقراطيين، بمـن فيهم بولـوك القوي أمـلاً في أن يمارس الحكم علـى مبدأ المشاركـة بين الحزبين. ينتخـب الحاكم ونائبه في تكساس بشـكل منفصل. كانت لبولوك جذور عميقة في حكومة تكساس كونه خدم سابقاً لأربع دورات كمراقب الحسابات، وكان يتمتع بنفوذ قوي. يمنح قانون تكساس سلطات كبيرة لنائب الحاكم كرئيس لمجلس شيوخ تكساس، حيث كان من صلاحياته تعيين رؤساء اللجان، وكان يقرر وجهة سير التشريعات، وكان له تأثير مباشر على مشروعات القوانين التي كان له إما أن يقرها أو يلغيها. كانت شخصية بولوك القوية كقوة تكساس نفسها، قد جعلت منه أكثر فاعليةً من أي نائب حاكم عادي آخر.

لهـذه الأسباب مجتمعة، عرف بوش أن بناء جسور الثقة والعلاقة الوثيقة التي تربطه إلى بولوك، بالإضافة إلى رئيس المجلس الديمقراطي بيت ليني، سيشكلان العامل الحاسم في تمرير أولوياته. غالباً ما كان الثلاثة يتحدثون، ويجتمعون بشكل روتيني مرة واحدة في الأسبوع على الأقل خلال مدة انعقاد الجلسة. بكل المعايير، أسس بوش لعلاقة زمالة قوية مع بولوك وليني أكبر بكثير من تلك التي قامت بها سلفه الديمقراطية آن ريتشاردز.

قـام بوش أيضاً بمـد يد التعاون وبنـاء علاقات مع القـادة الديمقراطيين الآخرين في السلطـة التشريعيـة، خصوصـاً ولكن ليس علـى سبيل الحصر، مـع رؤساء اللجان الرئيسين. ولم يكن مستغرباً من بوش أن يتوقف في مكتب أحد الأعضاء والقيام بزيارته مـن دون موعـد مسبق. وعندما كان يحين موعد الانتخابـات، لم يكن بوش يقوم بحملة ضـد القادة الديمقراطيين القائمـين على رأس عملهم من الذين عملوا معه وقاموا بمد يد المساعدة له لإنجاز أولوياته.

هـذه المقاربة اللا حزبية آتت أُكُلَها. ففي الحقبة الأولى له كحاكم في الحكم، استطاع بوش تمرير التعديل الأكبر على نظام التعليم في الولايـة منذ عدة عقود، ودعم القوانين العدليـة المتعلقـة بالأحـداث، ووضع الإصلاحـات موضـع التطبيق في ما يتعلـق بالمعونة الاجتماعية وقضايا المحاكم، وهي قضايا جوهرية في حملته كحاكم للولاية.

القيادة تعني بالنسبة لي توحيد الناس حول هدف مشترك بدلاً من وضع حدود تفصل بينهم على أسس أيديولوجية، وعلى هذا الأساس اعتبرت قيادة بوش مُلهِمةً. فقد تحالف بشكل رائع مع بولوك وليني لبناء مقاربة للحكم، والمحافظة على ثنائية حزبية تعتمد على مبدأ الزمالة.

هـل يمكن لقيادته أن تثمر عـن حركة سياسية جديدة على المستوى الوطني أيضاً كما حصـل في ولاية تكساس؟ العديـد ممن ينتمون إلى جيل الشباب كانوا يتطلعون إلى تغيير كهـذا. في المحصلـة، أليس من واجب السياسة أن تمثل قضايـا أسمى وأفضل مما قدمه لنـا قادتنا في واشنطن؟ وبوجود القيادة الرئاسية الصحيحة، ألا يمكن لقادتنا المنتخبين أن يضعـوا جانباً موضوع الإفراط في شن حملات انتخابية لا تنتهي وممارسة السياسات اللاذعة، ويعملوا معاً لخدمة مصالح أمتنا على أفضل وجه؟ كنت أؤمن بأن لديهم المقدرة على القيام بذلك، شأني في ذلك شأن العديد من الأمريكيين.

دائمـاً ما كنت أنظـر إلى السياسة على أنها تؤدي إلى إحـداث فرق إيجابي يصب في الصالح العام –وهذا الاعتقاد زُرِع في داخلي منذ سني حياتي الأولى. وكان هذا هو السبب في أنني، من جملة أسباب أخرى، اخترت مهنة في هذا الحقل. وكنت أعتقد لدرجة تشبه اليقـين، أن جـورج بوش يمكن أن يكون تجسيداً لما كنت أنا والعديد من الآخرين نتوق إلى تحقيقـه؛ قائدٌ كان باستطاعتـه أن يجعلنا نعتقد أنه من المجدي الذهاب إلى واشنطن في المحصلـة– للتحقـق من إمكانية تغيـير السلوكيات التدميرية التـي سيطرت عليها خلال حقبة التسعينات.

ركز بوش بصفته حاكماً على القضايا الكبيرة التي كان لها وقع إيجابي كبير على كل أهالي ولاية تكساس. وعندما كان الأمر يتعلق بقضايا خلافية مثل قضية الإجهاض على

سبيل المثال، كان يبحث عن أرضية مشتركة عبر تحديد الطرق العملية لتخفيض حالات الإجهاض مثل تقديم الدعم للمبلغين عن حالات الأبوة، وتشجيع التبني. لم يبذل جهوداً مـن أجل قضايا صغيرة تـؤدي إلى الانقسام، أو يختار كلماته بعناية كي يسعد مجموعة محددة من سامعيه، أو يسعى لوضع مجموعات من الناس في مواجهة بعضها بعضاً من أجل مكاسب سياسية.

توسعـت شعبيتـه في تكساس لتشمل الطيـف الديمقراطي، والمستقلـين بالإضافة إلى الجمهوريـين. وبوصول معـدل الدعم الشعبي لـه إلى ما فوق السبعين بالمائـة، فإن بوش استطاع جذب دعم واسع لقيادته، وسياساته، وطريقته في الحكم.

لقـد كان سجله الناصع الحافل بالإنجازات التي تجـاوزت الحدود الحزبية مَعْلَماً في حملته الانتخابية لمنصب رئيس الولايات المتحدة. ركزت شعارات حملتنا على ما هو فريد في شخصـ بوش. فقد كان «داعية وحدة» لا «داعية تقسيم»؛ كان يمثل «نموذجاً جمهورياً مختلفاً» عن نموذج غينغريتش، ومجموعته المتشددة ذات العقلية التي تنزع نحو المواجهة. لقـد قدم أجندة «محافظة مليئـة بالرفق»، والتزم بتغيير النمط المر الذي يطبع واشنطن وذلك عبر جمع الجمهوريين والديمقراطيين لحل المشكلات الكبرى.

جعـل بوش من القيـادة مسألة مبدأ، ومـن الثنائية الحزبية سجلاً، كمـا أن الأجندة المحافظـة المليئـة بالرفق تبعـث في نفسي الكثير مـن الأمل، كما في نفوس أولئك الذين سأدعوهم قريباً جداً زملائي - زملائي من أعضاء فريق بوش.

لهذا السبب كنت هناك، أمسك بتلابيب فرصة العمر التي لا تتكرر في أن أكون جزءاً مـن مشروع عظيـم - لأنني آمنـت أن السياسة باعتبارهـا مبدأ، يمكـن أن تكون أفضل بكثير من السياسة الممارسة يومياً. لا عجب إذاً أن أكون في غاية السعادة والتواضع كوني تعاقدت للعمل لدى جورج دبليو بوش.